أبعاد زيارة الأربعين

أ.د.طلال خليفة سلمان العبيدي
كلية التربية للبنات ـ جامعة بغداد

Talalkhalifa17@gmail.com

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر - ١٤٤٥هـ / أيلول - ٢٠٢٣م

ملخص البحث

أصبحت زيارة الأربعين زيارة عالمية مليونية، ونسقا اجتماعيا مهما وواعيا، يعبّر عن حبّ الناس وولائهم للإمام الحسين عليه السلام وتعلّقهم به وانجذابهم العجيب إلى قبره الشريف، على الرغم من وجود بعض الظروف المانعة، ووجود بعض المخاطر في طريق الزيارة، ولاسيما الحكومات الظالمة التي كانت على مرّ الأزمان تمنع زيارة الإمام الحسين ﷺ وتعاقب عليها أشدّ العقوبات، حتى تصل إلى الحبس والتنكيل وقطع الأيدي والقتل والإعدام، فضلا عن الإرهاب الذي استهدف العراق بشكل عام بعد عام ٢٠٠٣، واستهدف الزيارات ومواسم إحياء ذكريات أهل البيت ﷺ بشكل خاص، وموسم زيارة الأربعين بشكل أخص، إلا أن أتباع أهل البيت ﷺ في العراق والعالم أثبتوا ولاءهم وعشقهم لأهل بيت النبوة عليهم السلام على الرغم من التحديات التي واجهتهم، وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة التي وقفت في طريقهم، وما إحياؤهم لزيارة الأربعين المليونية الخالدة إلا تأكيد على ثباتهم على هذا النهج الولائي الصادق الذي يتغيّا إحياء زيارة الإمام السجاد والسيدة زينب عليهما السلام وجابر بن عبد الله الأنصاري للإمام الحسين عليه السلام في اليوم الأربعين من شهادته، وهكذا استمرت زيارة الأربعين ولم تنقطع على مدى الأزمان، وستبقى إلى ما شاء الله تعالى؛ لتعلن الولاء والإخلاص والحب العقائدي للإمام الحسين ﷺ، وتعلن الثبات على نهجه المهيع في الظروف كلها، ولأن الزيارة الأربعينية أصبحت رمزا دينيا عقائديا ولائيا ونسقا اجتماعيا مهما يتم إحياؤه في العشرين من صفر الخير في كل عام، وعلامة سيميائية مهمة تميّز أتباع أهل البيت ﷺ، فقد انمازت بعدّة أبعاد، منها البعد الديني والعقائدي، والبعد الاجتماعي، والبعد النفسي، والبعد الأخلاقي،

وسأتناول في هذا البحث هذه الأبعاد بالدراسة والتحليل؛ لأني عشتُ أجواء هذه الزيارة منذ عقد التسعينيات من القرن الماضي إلى يومنا هذا، وذهبت مشيا على الأقدام لسنوات متتابعة بعد عام ٢٠٠٣، وكنت أدوّن مشاهداتي وملاحظاتي على هذه الزيارة الكبيرة والعظيمة والمتميزة بميزات كثيرة عن غيرها من الزيارات .

الكلمات المفتاحية: أبعاد زيارة الأربعين ،الإمام الحسين ﷺ ،البعد الديني والعقدي، البعد الاجتماعي ،البعد النفسي،البعد الأخلاقي.

Dimensions of the Ziyarat Al- Arba’een

Dr. Talal Khalifa Salman Al-Obaidi
College of Education for Women - University of Baghdad

Abstract

Ziyarat Al- Arba’een has become a global and million-person visit, representing a significant and conscious social event. It manifests people's love and loyalty to Imam Hussein (peace be upon him), their profound connection to him, and their awe-inspiring attraction to his holy shrine. Despite facing challenging circumstances and risks on the journey, especially from oppressive governments that historically banned the visitation, subjecting it to severe punishments like imprisonment, torture, amputation, execution, and terrorism targeting Iraq in general and the specific commemorations of the Ahl al-Bayt (peace be upon them),

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر - ١٤٤٥ هـ / أيلول - ٢٠٢٣ م

particularly the Arbaeen pilgrimage, the followers of the Ahl al-Bayt in Iraq and around the world have proved their unwavering loyalty and affection for the Prophet's family.

Through the ages, they persisted in commemorating the eternal Arbaeen pilgrimage, affirming their commitment to this sincere path of loyalty, which includes reviving the visitation of Imam Sajjad, Lady Zainab (peace be upon them), and Jabir ibn Abdullah al-Ansari to Imam Hussein (peace be upon him) on the fortieth day of his martyrdom. The Arbaeen pilgrimage continued uninterrupted across time and will persist by the will of Allah, declaring their loyalty, devotion, and doctrinal love for Imam Hussein (peace be upon him), and steadfastness on his revered path in all circumstances.

The Ziyarat Al- Arba'een has evolved into a religious, doctrinal, and loyal symbol and a significant social event celebrated every year on the 20th of Safar. It serves as an important semiotic marker that distinguishes the followers of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), encompassing various dimensions, including the religious, doctrinal, social, psychological, and ethical aspects.

In this research, I will study and analyze these dimensions comprehensively. Having personally experienced the atmosphere of this grand, unique, and awe-inspiring pilgrimage since the 1990s until today, and having walked on foot for consecutive years post-2003, I have documented my observations and reflections on this remarkable visitation, highlighting its numerous distinguishing features from other pilgrimages.

Note: The translation above is based on the context and themes presented in the original text. The content is related to the religious and cultural aspects of the Arbaeen pilgrimage, and it is essential to approach it with respect and sensitivity to religious beliefs and practices

Keywords: Ziyarat Al- Arba'een, Imam Hussein (peace be upon him), religious and doctrinal dimension, social dimension, psychological dimension, ethical dimension

المقدّمة

تعدّ زيارة الإمام الحسين يوم الأربعين من أهم الزيارات وأكثرها حضورا للزائرين من كلّ أنحاء العالم وهي من أبرز المناسبات الدينية لدى المسلمين ومن أبرز المواسم التي يحضرها ملايين الناس من كلّ أرجاء المعمورة لزيارة مرقد الإمام الحسين ﷺ في العشرين من شهر صفر الخير؛ إحياء لذكر الإمام الحسين ﷺ ولحدث وصول الرؤوس مع الإمام السجاد والسيدة زينب ﷺ ولزيارتهما له والتقائهما بجابر بن عبد الله الأنصاري الذي وصل إلى كربلاء المقدّسة في اليوم نفسه لزيارة الإمام الحسين ﷺ ولمرور أربعين يوما على شهادته في اليوم العاشر من المحرم الحرام وتأتي أهمية هذه الزيارة المليونية من عدّة من روافد وهي كما يأتي:

١. تأكيد الإمام المعصوم إحياء هذه الزيارة العظيمة في اليوم الأربعين من شهادة الإمام الحسين ﷺ الموافق لليوم العشرين من شهر صفر الخير وأنها من علامات المؤمن فقد روي عن الإمام الحسن العسكري ﷺ أنه قال:(علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختّم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن

الرحيم) (ابن طاووس ،٣/ ١٠٠)(http:shiaonlinelibrary.com).

٢. إحياء ذكر الإمام الحسين عليه السلام في أربعينيته الأليمة فمن المتسالم والمتفق عليه بين الناس ((من النواميس المطّردة الاعتناء بالفقيد بعد أربعين يوما مضين من وفاته بإسداء البرّ إليه وتأبينه وعدّ مزاياه)) (المقرّم ،ط ١٤٢٤،١هـ، ٣٨٤) وزيارة قبره وتجديد ذكره فكيف إذا كان الفقيد هو الإمام الحسين عليه السلام خامس أهل الكساء وسبط النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليهما السلام.

٣. يمثّل العدد (أربعون) رمزا دينيا وحضاريا عميق الجذور فقد ((طفقت لفظة الأربعين تأخذ معنى اصطلاحيا ذا منحى اجتماعي جاد يبلغ حدّ القداسة في مجالات الدين والمعرفة)) (المخزومي ،١٤٣٩ هـ ـ ٢٠١٨ م ١٣٧) والتراث الحضاري فقد ورد ذكر هذا العدد في القرآن الكريم وفي الكتاب المقدّس وفي الأحاديث الشريفة والحضارات القديمة (المخزومي ،١٣٧ ـ ١٤٢).

٤. إحياء ذكرى إعادة رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس من استشهد معه واستذكار وصول الإمام السجاد والسيدة زينب عليهما السلام والتقائهما بجابر بن عبد الله الأنصاري الذي جاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر في العام الحادي والستين من الهجرة فالمؤمنون يحيون هذا الحدث التاريخي الفاجع ويستذكرون زيارة الإمام السجاد والسيدة زينب عليهما السلام وزيارة جابر بن عبد الله الأنصاري في يوم العشرين من صفر ويواسونهم في هذا اليوم المشهود.

لقد أصبحت زيارة الأربعين زيارة عالمية مليونية ونسقا اجتماعيا مهما وواعيا يعبّر عن حبّ الناس وولائهم للإمام الحسين عليه السلام وتعلّقهم به وانجذابهم العجيب إلى قبره الشريف على الرغم من وجود ظروف مانعة ووجود مخاطر في طريق الزيارة

ولاسيما الحكومات الظالمة التي كانت على مرّ الأزمان تمنع زيارة الإمام الحسين عليه السلام وتعاقب عليها أشدّ العقوبات حتى تصل إلى الحبس والتنكيل وقطع الأيدي والقتل والإعدام فضلا عن الإرهاب الذي استهدف العراق على نحو عام بعد عام ٢٠٠٣ واستهدف الزيارات ومواسم إحياء ذكريات أهل البيت عليهم السلام على نحو خاص وموسم زيارة الأربعين على نحو أخص إلا أن أتباع أهل البيت عليهم السلام في العراق والعالم أثبتوا ولاءهم وعشقهم لأهل بيت النبوة عليهم السلام على الرغم من التحديات التي واجهتهم وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة التي وقفت في طريقهم وما إحياؤهم لزيارة الأربعين المليونية الخالدة إلا تأكيد على ثباتهم على هذا النهج الولائي الصادق الذي يتغيّا إحياء زيارة الإمام السجاد والسيدة زينب عليهما السلام وجابر بن عبد الله الأنصاري للإمام الحسين عليه السلام في اليوم الأربعين من شهادته وهكذا استمرت زيارة الأربعين ولم تنقطع على مدى الأزمان وستبقى إلى ما شاء الله تعالى؛ لتعلن الولاء والإخلاص والحب العقدي للإمام الحسين عليه السلام وتعلن الثبات على نهجه المهيع في الظروف كلها ولأن الزيارة الأربعينية أصبحت رمزا دينيا عقديا ولائيا ونسقا اجتماعيا مهما يتم إحياؤه في العشرين من صفر الخير في كل عام وعلامة سيميائية مهمة تميّز أتباع أهل البيت عليهم السلام فقد انمازت بعدّة من أبعاد منها البعد الديني والعقدي والبعد الاجتماعي والبعد النفسي والبعد الأخلاقي وسأتناول في هذا البحث هذه الأبعاد بالدراسة والتحليل؛ لأني عشتُ أجواء هذه الزيارة منذ عقد التسعينات من القرن الماضي إلى يومنا هذا وذهبت مشيا على الأقدام سنوات متتابعة بعد عام ٢٠٠٣ وكنت أدوّن مشاهداتي وملاحظاتي على هذه الزيارة الكبيرة والعظيمة والممتازة بمزايا كثيرة من غيرها من الزيارات فضلا عن إعدادي وتقديمي لبرنامجين تلفزيونيين في قناتين فضائيتين عن أبعاد زيارة الأربعين وخصوصياتها ومزاياها التي انمازت بها.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

البعد الديني والعقدي

تحمل زيارة الإمام الحسين عليه السلام بعدا دينيا وعقديا مهما ومن ثم فهي تعدّ إحياءً للدين والعقيدة وتثبيتا لهما في قلوب الزائرين لأنهم يقصدون رمزا دينيا وعَقَديا عظيما هو الإمام الحسين عليه السلام وقد خاطبه الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين قائلا: ((وأشهد أنك من دعائم الدين وأركان المسلمين ومعقل المؤمنين. وأشهد أنك الإمام البرُّ التقي الرضي الزكي الهادي المهدي)) (القمي، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ٥٣٨) فهو من مثّل الدين الإسلامي في زمن إمامته خير تمثيل وهو من أحيا دين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله بدمه الشريف وبدماء أهل بيته وأصحابه في نهضته الخالدة التي أراد فيها الإصلاح المطلق بكلّ أنواعه لذلك قال عليه السلام: ((وإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي)) (الخوارزمي، ١٣٩) فالمؤمنون حينما يزورونه على مدار السنة وفي يوم الأربعين خاصة فإنهم يحيون ذكرى من مثّل الدين الإسلامي في زمنه وضحّى بكل ما يملك من أجل بقاء الدين دون تزييف أو تغيير أو تحريف ووقف بوجه أعتى طاغية وبوجه السياسات الأموية الجائرة والمنحرفة التي سعت إلى تغيير الدين الإسلامي وتحريفه بكل طريقة ممكنة فقد خرج عليه السلام لطلب الإصلاح الديني والعَقَدي و الاجتماعي والأخلاقي والفكري والنفسي والاقتصادي فأراد الإصلاح الشمولي بكلّ أنواعه وهذ الأمر يدلّ على أن الدين الإسلامي والمجتمع الإسلامي يعانيان من محاولات التخريب الأموي المتعمّد وأن هذا الوضع الخطير والمأساوي يحتاج إلى مصلح كبير يسعى بكل ما أوتي من قدرات وملكات إلى الوقوف بوجه هذه المحاولات التخريبية البشعة وإصلاح المنظومة الفاسدة إصلاحا شاملا وإرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح الذي أراده الله تعالى وأراده النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وما على الإمام الحسين عليه السلام إلا التصدي لهذه المهمة الرسالية الكبرى والسير في طريق الإصلاح المحفوف بالأشواك والعقبات

التي وضعها الأمويون فيه مهما بلغت الأخطار ومهما كانت النتائج.

يظهر لنا مما تقدّم أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام ولاسيما زيارة الأربعين تعدّ إحياءً للدين وسيرا على نهج الحسين الإصلاحي الذي خرج الإمام من أجله وعلينا جميعا الخروج إلى الإصلاح والسعي في طرقه الوعرة التي اختطها بدمه الشريف فإصلاح الإمام الحسين عليه السلام يجسّد حجة على كلّ إنسان ليكون مصلحا في موقعه ومجال عمله ولا يسكت أمام الظلم والظالمين والفساد والمفسدين لذلك سعى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام إلى ربط الناس بالإمام الحسين عليه السلام عن طريق الكثير من الأحاديث التي تحثّ الناس على زيارته وتبيّن الأجر الكبير والعظيم لهذه الزيارة ومن هذه الأحاديث ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ((يا علي من زارني في حياتي أو بعد موتي أو زارك في حياتك أو بعد موتك أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن أخلّصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيّره معي في درجتي)) (الكليني، ط ١، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م ،٤/ ٥٩٩) وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفا بحقه كتب الله له أجر من أعتق ألف نسمة وكمن حمل على ألف فرس مسرجة ملجَمة في سبيل الله) (االكليني، ٤/ ٦٠٠) وما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: ((أدنى ما يثاب به زائر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات إذا عرف حقّه وحرمته وولايته أن يُغفَرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر)) (المازندراني،٤/ ٦٠١).

من جانب آخر تعدّ الإمامة أصلا من أصول الدين والمؤمنون بزيارتهم للإمام الحسين عليه السلام في أيام السنة عامة وفي زيارة الأربعين خاصة يؤكدون تمسّكهم بهذا الأصل المهم فالإمامة ((مسألة إلهية وسماوية ولهذا كان من اللازم أن يتم تعيين خليفة النبي كذلك عبر الوحي الإلهي إلى النبي صلى الله عليه وآله ويقوم النبي بإبلاغه إلى الناس)) (السبحاني / ١٨٣) نظرا لأهمية هذا الأصل من أصول الدين وخطورة تركه أو

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

عدم العناية به فهو ضرورة من ضرورات الدين والعقيدة. إن زيارة المؤمن للإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين وإحياءه لهذه الذكرى الأليمة تمثل تعظيما لشأن الإمام الحسين عليه السلام وإحياءً لمبادئه التي خرج لطلبها واستشهد من أجلها ومن ثم تشكل هذه الزيارة تمسّكا بأصل الإمامة وحفاظا عليه في زمن التشكيك والتفكيك والتقويض وتواصلا مع الإمام المعصوم وتعظيما لشأنه ونشرا لمبادئه السامية وفكره التنويري التحرّري الذي يهدف إلى تحرير الإنسان من الخوف والظلم والإذعان للظالمين المستبدين لذلك كانت زيارة الأربعين وما زالت تخيف الظالمين والفاسدين وتقضّ مضاجعهم وتستفزهم وترعبهم لأنها ترجع الإنسان إلى دينه وعقيدته وتثبته عليهما في زمن تفشي فلسفة ما بعد الحداثة التي تشكك وتقوّض وتدعو إلى العدمية ونقد المقولات المركزية ونقد الأديان والعقائد وإبعاد الناس عن دينهم وعقيدتهم وتدعو إلى اللانظام واللاانسجام والتحرر العبثي والفوضى الخلّاقة التي أراد الأمريكان واليهود إشاعتها في المجتمعات الإسلامية فتأتي الزيارة؛ لتقف بوجه هذه الفلسفة الهدّامة وتعيد الأمور إلى نصابها وتعين المؤمنين في الثبات على الدين والعقيدة؛ لأنهم يعيشون في زيارة الأربعين وفي أيامها الممتدة من اليوم الأول من صفر الخير إلى يوم العشرين منه في عالم من المثل وفي مدينة فاضلة ومجتمع مؤمن فاضل كريم مما يكوّن دافعا لهم ومحفّزا على الثبات على الدين والعقيدة وعلى طريق الإصلاح الذي رسمه الإمام الحسين عليه السلام للأجيال اللاحقة.

البعد الاجتماعي

تمتاز زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام بأنها تختلف عن بقية زياراته عليه السلام في موارد عديدة وهي كما يأتي:

١. عدد أيامها كما ذكرت آنفا فهي تمتد أياما متتابعة وهذا الأمر يجعل تأثيرها أكبر وأعمق في الناس فحتى الإنسان الذي لا يذهب إلى الزيارة في بدايات شهر صفر أو لا يذهب مشيا بل يذهب في يوم الأربعين أو قبله بيوم أو لم يقرر الزيارة أصلا يبقى متفاعلا مع أجواء الزيارة وأجواء المشي على الأقدام إلى ضريح سيد الشهداء عليه السلام ومن ثم تمارس هذه الأجواء الإيمانية تأثيرها المستمر فيه مما يؤدي ببعض إلى اتخاذ قرار الزيارة مشيا أو بأية وسيلة أخرى؛ نتيجة لتأثره بحماس الزائرين وإيمانهم ومواقفهم النبيلة وعقيدتهم الراسخة وحبهم للإمام الحسين عليه السلام.

٢. امتازت هذه الزيارة بأن أغلب الناس يقصدون ضريح الإمام الحسين عليه السلام سيرا على الأقدام لمواساة الإمام السجاد والسيدة زينب عليهما السلام والركب الحسيني في مسيرهم على الأقدام قاصدين قبر الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر في العام الحادي والستين للهجرة ولإحياء زيارة جابر بن عبد الله الأنصاري وهذا السير على الأقدام في زمن وسائل النقل الحديثة والمتطورة يجعل السائرين يستشعرون ويحسّون بتعب الركب الحسيني ومعاناتهم وآلامهم وأحزانهم التي كابدوها.

٣. من مزايا هذه الزيارة كثرة البذل والعطاء والكرم والخدمة المستمرة ليلا ونهارا للزائرين الكرام بكل إخلاص وتودّد حتى أن الزائر يخرج من بيته بلا زاد أو متاع للسفر على الرغم من طول الطريق وتعدد أيام السير لأنه مطمئن إلى وجود الخدمات كلها في طرق سيره إلى سيد العشق الإمام الحسين عليه السلام ومما يلفت النظر أن الناس يخدمونه مجانا وبكل حب بل يحسّون أن الزائر هو المتفضّل عليهم وليس هم أهل الفضل عليه.

٤. كثرة عدد الزوار من كل أنحاء العراق ومن دول العالم أجمع في زيارة الأربعين قياسا بالزيارات الأخرى إذ بلغت أعدادهم بالملايين فقد ((أكدت موسوعة ويكيبيديا أن زيارة الأربعين في كانون الأول ٢٠١٣ أكبر التجمعات السلمية في التاريخ)) (المخزومي،٢٠٠) ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى عدّة من روافد وهي كما يأتي:

أ. كون زيارة الأربعين تجسّد علامة من علامات المؤمن ومائزا له كما ورد في حديث الإمام الحسن العسكري ﷺ: ((علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختّم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)) (ابن طاووس، ٣/ ١٠٠).

ب. الآثار الدنيوية التي يراها ويلمسها زائر الإمام الحسين ﷺ وخادمه وخادم الزائرين في هذه الزيارة فنسمع الكثير من قصص هذه الآثار والتوفيقات والفيوضات التي يحصل عليها زائر الإمام وخادمه وخادم زواره من شفاء المرضى والمقعدين وزيادة الرزق والبركة ورزق الناس بالذرية والثبات على الدين والعقيدة...إلخ.

ج. الآثار الأخروية الكثيرة التي وُعِد بها زائر سيد الشهداء ﷺ من لدن النبي المصطفى ﷺ وأهل البيت ﷺ فمن يقرأ كتب الحديث يجد أحاديث كثيرة تشير إلى عظمة أجر زائر الإمام الحسين ﷺ في الدنيا والآخرة وقد ذكرتُ بعضها فيما سبق من البحث.

د. اجتماع الناس من مختلف المذاهب والأديان والقوميات في هذه الزيارة المليونية فتجد الشيعي والسني والمسيحي والعربي والكردي والصابئي والشبكي والآيزيدي وتجد الناس من مختلف الجنسيات والانتماءات ومن مختلف الدول والقارات ومن مختلف طبقات المجتمع. إن هذا الأمر يؤدي إلى تعارف الناس فيما بينهم وتقاربهم من بعضهم في طريق الإمام الحسين ﷺ ويجسّد مصداقا

لقوله تعالى: ﴿يا أيّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُم مِن ذَكَرٍ وَأنثَى وَجَعَلنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقَاكُم﴾ (الحجرات :١٣).

بناءً على ما تقدّم نجد البعد الاجتماعي حاضرا في زيارة الأربعين وعن طريق تعارف الزائرين فيما بينهم والسير على الأقدام عدّة من أيام نجد أن العلاقات تتعمّق فيما بينهم وتزداد وثاقة حتى يصبحوا أخوة في طريق الإمام الحسين ﷺ وبعد الزيارة يبدؤون بتبادل المكالمات الهاتفية والزيارات فيما بينهم وتتعارف الأسر بعضها على بعض وتزداد اللحمة الاجتماعية كذلك نجد هذا النوع من العلاقات الشفافة الإيمانية تتوثق بين زائري الإمام الحسين ﷺ وأصحاب المواكب وأصحاب المساكن الواقعة على طريق الزائرين الذين يخدمون الزوار ويوفرون لهم ما يحتاجونه من مأكل ومشرب ومبيت وغسل لملابسهم إلى غير ذلك من خدمات كثيرة ومتنوعة مما يؤدي إلى توطيد العلاقات بين أفراد مجتمع زيارة الأربعين على نحو خاص والمجتمع على نحو عام.

ومما يشار إليه في هذا البعد المهم أن الكثير من أصحاب المواكب والبيوت يأخذون أرقام الزائرين ويتصلون بهم حينما يقرب موعد الزيارة الأربعينية ويطلبون منهم بل يتوسلون إليهم لزيارتهم واستضافتهم مرة أخرى وسمعتُ بعض خدمة الحسين ﷺ يقولون لبعضهم إن هذا الزائر من حصّتي ولا يرضى بالتفريط بخدمته في كل عام فضلا عن ذلك فإن الزائر يبادلهم شعورهم هذا وخدمتهم الجليلة وكرمهم الفيّاض ويعرض عليهم الاستضافة وتقديم الخدمات لهم حينما يذهبون إلى مدينته؛ لقضاء بعض الأعمال وهكذا يتم تبادل الزيارات وتتوطد العلاقات الاجتماعية ببركة الإمام الحسين ﷺ وبركة زيارة الأربعين.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول/ السنة الأولى

ومن الجدير بالذكر إن هذه العلاقات لا تنحصر بين العراقيين فقط بل تشمل العراقيين والزائرين من الدول الأخرى وهكذا نرى العلاقات الوطيدة تقوى وتتآزر بين العراقيين من جهة وبين العراقيين وزوار الدول الأخرى من جهة ثانية مما يؤدي إلى نشر روح الأخوة الإيمانية الحسينية في العراق وخارجه.

ومما يتمظهر في البعد الاجتماعي لزيارة الأربعين ذلك التفاعل الإيجابي وأجواء المحبة والصفاء التي تسود في مجتمع الزيارة حتى أضحى هذا المجتمع مجتمعا مثاليا يجسّد المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) إذ يكاد يخلو من الأدواء الاجتماعية الكثيرة كالحسد والغيبة والنميمة والبهتان والغيرة والتكبّر والتعالي على الناس...إلخ فنجده مجتمعا متحابّا متآلفا يكاد يخلو من الأدواء والمنغّصات والمشاكل الاجتماعية بل حتى حينما تحدث مشكلة معينة تجد الجميع يهبّ لحلها بروح الأخوة والتسامح وتحلّ المشكلة بدقائق. وسمعت من بعض الناس الذين يسعون إلى حلّ هذا النوع من المشاكل يقول للطرفين على أحدكم أن يسامح الآخر من أجل الحسين وعلى محبة الحسين عليه السلام ويتسامح الطرفان ويعتذر أحدهما للآخر؛ إكراما للإمام الحسين عليه السلام وحفاظا على زيارة الأربعين وتستمر الزيارة بهذه الأجواء الاجتماعية الصافية وبهذه المحبة والإيثار والتفاني فما أحوج المجتمعات اليوم لهذا الجو من الألفة والصفاء والمحبّة لذلك أرى من المهم جدا أن تبقى هذه الأجواء الاجتماعية الصافية والجميلة والهادئة على طول العام وليس في مجتمع الزيارة فقط وبذلك نصل إلى المجتمع المثالي الذي يسعى الجميع إلى العيش فيه بسلامة وهدوءمشاهداتي التي تخصّ البعد الاجتماعي لزيارة الأربعين أنّ السير في هذا الطريق الحسيني والخدمة المقدمة للزائرين لا تقتصر على الرجال فقط بل تشمل الرجال والنساء والأطفال وحتى المعاقين فكنت أشاهد

الكثير من الناس يمشي في طريق الزيارة الأربعينية وأشاهد الكثير يخدم في المواكب والمساجد والحسينيات والبيوت فالرجال يقفون بباب الموكب ويقدّمون الطعام والشراب وبقية الخدمات والنساء يعملن خلف المواكب ويخبزن الخبز ويطهين الطعام ويعملن على خدمة النساء الزائرات أما الأطفال فيتسابقون فيما بينهم لتقديم أنواع الخدمات للزوار وينظفون المواكب بعد كل وجبة طعام وفي كل فرصة سانحة فالجميع يبذل جهودا مضاعفة ويتعب كثيرا وينام قليلا فكنت أشاهد علامات التعب بادية على أجسامهم ووجوههم وعيونهم بل حتى على أصواتهم التي بُحّت من كثرة المناداة والترحيب بالزائرين إلا إنهم مع هذا التعب المضني وقلة الراحة وقلة النوم كنت أشاهدهم مرتاحين نفسيا ويسعون إلى تقديم كل ما باستطاعتهم تقديمه للزائرين وحينما تنتهي الزيارة أشاهد الحزن باديا على وجوههم المتعبة وأشاهد بعضهم يبكي بكاءً حارا بسبب انتهاء الزيارة ويسأل الله تعالى أن يمدّ في عمره للزيارات القادمة. إن هذه المشاهد وهذه الأعمال تشير إلى مجتمع عجيب لا تكاد تجد له نظيرا في المجتمعات كلها مجتمع يتمتع بمواصفات خاصة وبسِمات نبيلة ونادرة ميزته من غيره من المجتمعات وفضّلته عليها.

البعد النفسي

من الأبعاد المهمة لزيارة الأربعين البعد النفسي فقد يصاب الإنسان ببعض الأدواء النفسية أو بعض العقد النفسية أو قد يصاب بالكآبة أو العصبية أو القلق النفسي؛ نتيجة ما يعانيه في حياته المعاشة من مشاكل وضغوط لذلك يكون هذا الإنسان بأمسّ الحاجة إلى علاج هذه الحالات النفسية التي قد تنتابه في وقت من الأوقات ومن طرق المعالجة المهمة لهذا النوع من المشاكل النفسية فضلا عن

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

مراجعة الطبيب المختص زيارة بيت الله الحرام وزيارة مرقد النبي الأكرم ﷺ ومراقد الأنبياء عليهم السلام وزيارة مراقد أهل البيت عليهم السلام وزيارة المساجد؛ لأن هذه الأماكن المقدسة مملوءة بهالات النور وبالطاقات الإيجابية مما يؤدي إلى تأثيرها الإيجابي والصحي في الإنسان الداخل فيها ومما يؤدي إلى إراحة نفسيته المتعبة ومزاجه المتعكّر؛ بسبب المشاكل التي تواجهه في حياته والتي تؤدي إلى تعبه النفسي وتوتره. والزيارة الأربعينية ونظرا لما تتمتع به من خصائص ومزايا مررنا عليها فيما سبق من البحث أضحت علاجا نفسيا ناجعا للكثير من المشاكل النفسية التي قد يصاب بها الإنسان في حياته التي يعيشها فقد سمعت من بعض السائرين على الأقدام في زيارة الأربعين يقول: مع أن جسدي متعب؛ بسبب المشي الطويل إلا إن نفسي مرتاحة جدا ولا أكاد أفكر في المنغصات والمشاكل الحياتية وأنا في طريق الزيارة بل أطلب من الله تعالى أن يحلّها جميعها ببركة الإمام الحسين عليه السلام وببركة زيارة الأربعين. وكنت أشاهد وأسمع بعض الزائرين بعد إتمامه للزيارة يحمد الله عزّ ذكره ويقول: الآن ارتحتُ وارتاحت نفسي بعد أن وصلت إلى المرقد الطاهر وأديت الزيارة وأديت بعض حقوق الإمام.

البعد الأخلاقي

عند الحديث عن البعد الاجتماعي لزيارة الأربعين ذكرت بعض الجوانب الأخلاقية التي يتمتع بها مجتمع الزيارة وسأحاول في هذه الفقرة أن أعالج الموضوع بشيء من التفصيل فقد انماز مجتمع الزيارة الأربعينية بالبعد الأخلاقي الرائع والمهيمن عليه فنرى الجميع من زوار وخدام للزوار يتمتعون بأخلاق عالية جدا ويخدم بعضهم بعضًا ويتواضع له تواضعا جما فالتواضع من الصفات الأخلاقية الرائعة التي تمظهرت على نحو جلي في مجتمع الزيارة فتجد الكبار والشَيَبَة يخدمون الزائرين وإن كانوا

أصغر منهم سنا بل حتى إن كانوا بأعمار أحفادهم ويتكلمون معهم بأجمل الكلمات ويتوسلون إليهم ليخدموهم بأية خدمة يحتاجونها وهذا الأمر نادرا ما نجده في حياتنا العامة. ووجدت بعض الذين يخدمون الزوار يتواضعون أكثر فأكثر فيقدمون خدمات ويقومون بأعمال لا يقومون بها في حياتهم العامة فيقومون بتدليك أقدام الزائرين وأجسامهم المتعبة؛ بسبب السير المستمر وشاهدت بعضهم يصبغ أحذية الزائرين وشاهدت بعضًا آخر يأخذ التراب من تحت أقدامهم وشاهدت قسما آخر يقوم بإصلاح أحذية الزائرين وإصلاح عربات الأطفال وعربات المعاقين مجانا وهذه جوانب أخلاقية عالية ومشاهد لا يمكن أن نشاهدها في غير مجتمع الزيارة الأربعينية.

ومن الجوانب الأخلاقية الأخرى التي تعكسها زيارة الأربعين ذلك الكلام الجميل والحوار اللطيف الذي يدور في أروقة مجتمع الزيارة والتعامل الراقي والأخلاقي بين أفراده والتلطف في الكلام وفي التعامل فنسمع عبارات جميلة ورائعة تنبئ عن خُلقٍ سامٍ وتربية حسينية ندر مثيلها مثل: (أهلا بزوار الحسين) و (نحن خدّام لكم) و (نحن بخدمة الزوار) و (تفضّل واسترح أيها الزائر) و (تفضل على زاد الحسين) و (نحن فداء لتراب أقدام زوار الحسين) و (نحن نتشرف بخدمتكم) و(خدمة الزائر شرف لنا)...إلخ ونجد الزوار يبادلونهم هذه العبارات الرائعة واللطيفة بعبارات أروع ويرفعون أيديهم بالدعاء لهم مثل: (رحم الله والديكم) و(وفقكم الله لهذه الخدمة المباركة) و (أعلى الله شأنكم) و(رزقكم الله خيرا كثيرا) و(حفظكم الله بحقّ الإمام الحسين) و (زادكم الله من خيره وفضله)...إلخ. وبهذا التعامل الأخلاقي الراقي وهذا التواضع الجميل يتمظهر البعد الأخلاقي للزيارة الأربعينية بأجلى صوره وأبهاها.

الخاتمة

بعد هذا العرض لبعض أبعاد زيارة الإمام الحسين ﷺ يوم الأربعين كان لابدّ من خاتمة أذكر فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل البحث إليها وهي كما يأتي:

١. لقد أضحت زيارة الأربعين من أهم زيارات الإمام الحسين ﷺ فهي زيارة عالمية مليونية يشار لها بالبنان ويشهد لها العالم أجمع بأنها أكبر تجمّع بشري سلمي في العالم.

٢. تعدّ هذه الزيارة نسقا اجتماعيا مهما وواعيا يعبّر عن حبّ الناس وولائهم للإمام الحسين ﷺ وتعلّقهم به وانجذابهم إلى مرقده الشريف فضلا عن مواساتهم للإمام السجاد والسيدة زينب ﷺ في إحياء زيارتهم للإمام الحسين ﷺ في العشرين من صفر في العام الحادي والستين للهجرة فضلا عن أنها من علامات المؤمن الموالي بحسب ما ورد في الحديث المنسوب للإمام الحسن العسكري ﷺ.

٣. كان البعد الديني والعَقَدي حاضرا في زيارة الأربعين فالحسين ﷺ رمز ديني عظيم أحيا بتضحيته الفريدة دين جدّه المصطفى ﷺ وأحيا قلوب المؤمنين فضلا عن أنه ﷺ يمثّل أصلا من أصول الدين الإسلامي هو الإمامة ومن ثم فإن هذه الزيارة تحفّز المؤمنين على الحفاظ على دينهم وعقيدتهم.

٤. تمظهر البعد الاجتماعي لزيارة الأربعين في ذلك التفاعل الإيجابي وأجواء المحبة والصفاء التي تسود في مجتمع الزيارة حتى أضحى هذا المجتمع مجتمعا مثاليا يجسّد المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) إذ يكاد يخلو من الأدواء الاجتماعية والمشاكل فنجده مجتمعا متحابّا متآلفا تتوثق فيه عرى العلاقات بين الزائرين حتى بعد انتهاء الزيارة.

٥. تبعث زيارات الإمام الحسين عليه السلام على نحو عام وزيارة الأربعين على نحو خاص على الراحة النفسية والاطمئنان الروحي في قلوب الزائرين ونفوسهم؛ نظرا لامتياز زيارة الأربعين بمزيا خاصة من غيرها من الزيارات تجعلها تمارس تأثيرا أكبر في الزائرين.

٦. أسهمت زيارة الأربعين في إظهار التعامل الأخلاقي العالي وبروز القيم الأخلاقية النبيلة والسامية في مجتمع الزيارة فنجد التواضع الجم والحوار الراقي والكلام الجميل هو السائد بين الزائرين.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c - k a r b a l a . c o m
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

التوصيات

يوصي البحث بعدّة من توصيات وهي كما يأتي:

١. ضرورة التركيز على البعد الديني والعَقَدي في زيارة الأربعين ولا سيما بعد انتشار أفكار فلسفة ما بعد الحداثة ومرتكزاتها في المجتمعات الإسلامية والعربية بفعل القوة الناعمة الأمريكية والغربية التي تدعو إلى التشكيك في اليقينيات والعقائد وتفكيكها وتقويضها وتدعو كذلك إلى اللانظام واللا إنسجام والتقويض والهدم والعدمية وما فوق الحقيقة وقوة التحرر؛ للتحرر من ثوابت الدين والعقيدة والثوابت الاجتماعية المنضبطة فكان لا بدّ من الوقوف بوجه هذه الفلسفة الهدّامة؛ لكي لا تفعل فعلها في مجتمعاتنا وعلى المؤسسات الدينية والحكومية والثقافية والاجتماعية والشبابية تحصين المجتمعات والإفادة من الزيارة الأربعينية في الحفاظ على الثوابت الدينية والعَقَدية والاجتماعية.

٢. العمل على تشكيل وزارة أو هيئة تسمى بوزارة أو هيئة الزيارة الأربعينية مهمتها تهيئة الظروف المناسبة للزائرين والحفاظ على الدين والعقيدة من محاولات التشويه والتحريف المتعمّد والحفاظ على مجتمع الزيارة الأربعينية من النواحي كلها وتهيئة مستلزماتها.

٣. المبادرة بتكوين هيئات ونصب مواكب تعنى بتثقيف الزائرين الذين يقصدون مرقد سيد الشهداء ﷺ في زيارة الأربعين؛ لأن أيام الزيارة طويلة وأجواء الزيارة الحماسية والعاطفية والدينية والعَقَدية تحفّز الزائرين على التفاعل مع هذه الهيئات والمواكب والإفادة منها في التحصين الديني والعَقَدي والاجتماعي وبذلك نحصّن مجتمعاتنا من محاولات التشكيك في اليقينيات والثوابت ونحميها من محاولات إبعاد الناس من الدين والعقيدة والأخلاق.

٤.ضرورة الحفاظ على استمرار الزخم الديني والعَقَدي والاجتماعي والأخلاقي في المجتمعات بعد انتهاء الزيارة الأربعينية؛ لتكون مجتمعاتنا مجتمعات مثالية منضبطة ملتزمة بفعل تأثير الإمام الحسين ﷺ فيها وبفعل تأثير الأجواء الإيمانية والإيجابية للزيارة.

المصادر

- القرآن الكريم

١.إقبال الأعمال السيد ابن طاووس المكتبة الشيعية على الرابط الآتي

١. http:shiaonlinelibrary.com .

٢.زيارة الأربعين دراسة سوسيولوجية ميدانية د. صادق المخزومي دار ومكتبة البصائر لبنان د. ط ١٤٣٩ هـ-٢٠١٨ م.

٣.العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ﷺ الشيخ جعفر السبحاني ترجمة جعفر الهادي الوكالة العالمية للتوزيع بيروت د . ط د . ت.

٤.فروع الكافي الشيخ محمد بن يعقوب الكليني الأميرة للطباعة والنشر بيروت ط ١ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥.مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي تعريب السيد محمد رضا النوري النجفي دار المرتضى بيروت ط ١ ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م.

٦.مقتل الحسين السيد عبد الرزاق المقرّم مطبعة غدير قم ط ١ ١٤٢٤ هـ.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/العدد الأول/السنة الأولى